والسيف هام على هام بمعركة ... لا البيض ذو ذمة فيها ولا اليَلَبُ
والنبل كالويل هطّالٌ وليس له ... سِوَى القِصيُّ وأيْدٍ فوقَها سُحُبُ
وللظُبَى ظَفَرٌ حلوٌ مُذاقتُه ... كأنما الضرب فيما بينهم ضَرَبُ
وللأسِنَّةِ عمّا فى صدورهم ... مصادرٌ أقْلُوبٌ تلك أم قُلب ؟
كُنّا نعدُّ الحمى أطرافَنا ظُفُراً ... فملّكتْكَ الظُّبىَ ما لبس تحتسب
عمّتْ فتوحك بالعَدْوى معاقلها ... كأنّ تسليم هذا عندَ ذا جَرَبُ
لم يبقَ منهم سِوى بيضٌ بلاَ رَمَقٍ ... كما التَوى بعد رأس الحية الذَّنَبُ

ولنا أن نتأمل أيضا أرصدة التشابه فى الصنعة ، ابتداء من صياغته للجمل الاسمية المتوالية فى استهلال الأبيات المتوالية : الخيل ، النقع ، والسيف ، والنبل ، والظبى ، والأسنة ، على طريقة أبى تمام منذ مطلعه أيضا فى مقدمات أبياته المتوالية ، السيف ، الصفائح ، والعلم ، أين الرواية ، عجائبا ... إلخ .

وانتقالا إلى معجم التصوير الذى يغلب عليه فيه ذلك التشخيص للسيف ، واليوم الجنب ، والحرب التى تضطرم ، والآجال التى تحتطب ، والظبى التى يتصور لها ظفرا ، و هو ما يتسق مع تشخيص أبى تمام الذي تزدحم به القصيدة فى كل أبياتها تقريبا .

ثم تبرز لديه تلك الصنعة اللفظية التى عمد فيها إلى منهج أبى تمام فى تكثيف معجمه اللفظى المنتقى بما فيه من المعانى الخاصة ، والطبيعة الاشتقاقية للغة على المستوى البديعى الذى يعكسه هنا قلوب وقلب والضرب والضرب ، والحرب والحرب ، إلى جانب تلك المطابقات بين الغضب والرضى ، أو المرضاة والغضب ، أو الطهارة والجنب . ثم هذا المعجم الحربى العام الذى يبنى تفاصيله على منطق السيف ، والنقع ، والخيل ، والركض ، والجنب ، والبيض ، واليلب ، والنبل ، والقسى والظبى ، مما ينتهى بنا إلى معاودة قراءة بائية أبى تمام مراراً والتى نجدها مبنية على أساس من تلك النماذج التصويرية واللفظية التى قصد الشاعر إلى تناولها علي لغته ومنهج تصويره .

ولعلنا قصدنا هنا إلى عدم الإطالة فى هذا التناول تجنبا للتكرار - وربما الملل - من ناحية ، واطمئنانا من جانبنا إلى ظهور جوهر المعارضة بشكل واضح جليّ من ناحية أخري .